تداخل النصوص في رواية "إمام آخر الزمان" لمحمد جبريل

بقلم

د. أسامة شمعون

ما هو العدل ؟، وهل هو مقتصر على ذاك الإمام المنتظر ؟، هل لابد وأن يكون من ذرية على بن أبى طالب – كرم الله وجهه – ؟، هل لابد أن تكون السلطة كاملة في يد الحاكم ؟، أم يجب أن يشاركه فيها أفراد منتخبون من الشعب ؟، هل يخلق الناس الديكتاتور المطلق ؟، هل كل من التزم – ولو ظاهريا – بتعاليم الدين، لابد أن يتقلد الحكم ؟، هل الفساد في الحكام، أم فيمن أعطوهم الثقة كاملة، أم في البطانة السيئة ؟

كل هذه الأسئلة وغيرها لابد أنه دارت بخلد محمد جبريل، والتى من أجلها ناقش فكرة المهدى المنتظر الذى سيملأ الأرض عدلا ورحمة بعد أن ملئت جورا، من سترافقه نسمات الحرية والعدالة الاجتماعية، فكرة دينية شيعية، وظف من خلالها جبريل اللغة الدينية، والموروث الشيعى، متخفيا وراء هذا الحجاب ليكشف حقيقة كل من حكم باسم الدين، والدين منه براء، فجاءت روايته " إمام آخر الزمان "[1] مجسدة لرؤية الفكرة هي البطل الرئيس في العمل الروائى، والتى بدأت بشكل حقيقى متمثلة في آل البيت، وانتهى بها الأمر إلى فكرة ميثولوجية تجنح إلى إضفاء الهالة الأسطورية على كل إمام يظن أنه هو إمام آخر الزمان .

وقد تناول جبريل في روايته هذه ستة نماذج لإمام آخر الزمان، تتنوع طرق حكمهم، وإن اتحدوا في المبدأ وهو اتخاذ الدين طريقا لأهدافهم، وشعارا لدولتهم الديكتاتورية.

- عتبات النص هي علاماته التي تضيئ العمل، ومن خلالها يمتد جسر التواصل بين عقلى الكاتب والمتلقى، وأولى هذه العتبات هي العنوان .
- " إمام آخر الزمان " عنوان آخر من عناوين محمد جبريل المحملة بالدلالات، والإيحاءات الدينية والسياسية، لعدة أسباب:

– مجيء العنوان خبرا لمبتدأ محذوف تقديره – مثلا – " هذا " يفيد انتهاء البحث عن الإمام طوال هذا الزمن ليصل في النهاية إلى هذا الإمام، وليحدده أكثر أضاف النكرة " إمام " إلى " آخر الزمان " إذن هو العدل المنشود الذى طالت غيبته واشتاق العدل إليه، ولكن هل قصد جبريل بمجيء كلمة " إمام " نكرة؟ – دون الإضافة – أقول، قد يكون هذا مقصودا إما للجهل بحقيقة هذا الإمام المنشود، أو لكثرة مدعى الإمامة، فعلى سبيل المثال أورد جبريل في نصه ستة أئمة، ولم يَثبت روائيًّا أن أى واحد منهم هو الإمام المنتظر عودته، فلكثرة مدعى الإمامة وتوالى ظهور من لا وزن له، ناسب الإتيان

بالنكرة، كما يحمل التنكير دلالات عصرية، فأى إمام يعنى " أهو زعيمنا الكائن أم مخلصنا المنتظر أم راعينا الصالح أم ديكتاتورنا المتجدد على الدوام؟ " [2] .

- ما المرد بكلمة " إمام " هل هو الحاكم مطلقا؟ أم الحاكم الإسلامى ؟، فلكلمة " إمام " مدلولها الإسلامى، وبالإضافة وضح المقصود فهو المهدى المنتظر وفقا لعقيدة الشيعة، فظهر منذ البداية تداخل النص الروائى مع النص الدينى التراثى مستفيدا من النصوص الدينية وبالأخص ما رواه الشيعة ونسبوه للرسول – صلى الله عليه وسلم [3].

- بدأ جبريل روايته بنصين:

النص الأول:

"هذه الرواية نسج خيال..

وإذا كان إطارها يبدو دينيا. فإن مضمونها أبعد ما يكون عن تناول القضايا الدينية . إن الذى ينشد أمور دينه . عليه أن يفتش عنها في كتب الدين . وما أكثرها .

وإذا توالت الأسماء – خلال الأحداث – لأماكن وبشر . في هذا القطر العربى أو ذاك . فمرد ذلك إلى الواقع الفنى . وليس إلى الواقع التاريخى..

وأكرر هذه الرواية نسج خيال ... "

استمرارا للتخفى خلف قناع الكلمات والتحاما مع " بنية الرواية في مستوياتها التاريخية والواقعية والفنية " [4] جاء النص التصديرى ليبعد جبريل روايته عن ما قد يفهم خطأ وهو نقدها للواقع من قريب أو بعيد، فيقرر أن أى توالى للأسماء " خلال الأحداث لأماكن وبشر . في هذا القطر العربى أو ذاك . فمرد ذلك إلى الواقع الفنى . وليس إلى الواقع التاريخى "، فعمله من قبيل الفانتازيا، وليس من قبيل النقد للواقع – كما يزعم –، وليدفعنا دفعا إلى عالم تخييلى لا علاقة له بالواقع .

كما يبرئ به عمله من التلاعب بالنصوص الدينية من نسبة الأحاديث (الشيعية) إلى النبى – صلى الله عليه وسلم –، فليس مضمون الرواية دينيا، ولكن قارئ الرواية الخبير الذى يتراسل معه جبريل يرى القناع الدينى ومن تخفى وراءه، وما الذى يريده، فـ" يجد بين السطور شيئا يتجاوز الظاهر، ويجد في التكرار والتأكيد ما يكشف عن القهر السياسى، الذى يجعل الكاتب يتوراى وراء السطور، ويخشى أن يوضح موقفه، ويبرئ ساحته بمختلف الوسائل " [5] .

النص الثانى:

" لأعذبن كل رعية في الإسلام . أطاعت إماما جائرا . وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقية . ولأعفون عن كل رعية في الإسلام، أطاعت إماما هاديا من الله . وإن كانت الرعية في أعمالها ظالمة مسيئة "، "حديث قدسي"[6].

بداية نقرر ونكرر، للكاتب أن يستدعى ما شاء من النصوص الدينية، فليس غرضه توثيقها أو بيان صحتها أو عدمه، بل تمثلا لتلك الطائفة، وتداخلا مع عقائدها.

"حديث قدسي"، كلمة موحية لها دلالاتها الدينية، إذن هو دعوة دينية صريحة للثورة على كل إمام جائر، وبإضافتها للحديث تؤصل لفكرة العمل الرئيسة ألا وهى البحث عن العدل في ظلال العقيدة الشيعية، ولكن كيف يكون العدل؟ العدل في الإمام العادل وطاعة الأمة لهذا الإمام العادل، ولكن ما هي صفات الإمام العادل؟ وكيف تتحقق طاعة الأمة له؟ هذا ما سنعرفه من خلال أحداث الرواية، فهذا التصدير بمثابة تلخيص لما سيأتى من الأحداث .

ولهذا التصدير بعد آخر وهو القناع التاريخى والدينى الذى تشكلت ملامحه منذ العتبة النصية الأولى (العنوان) .

- فى كل رواية جديدة يفاجئنا جبريل بأسلوب يختلف عما ألفناه في رواياته السابقة، فبينما كان الشكل التحقيقى هو السائد على نمط روايته " من أوراق أبي الطيب المتنبى "، كان الشكل الصحفى هو السائد على روايته " إمام آخر الزمان " وليس في ذلك التناول سطحية، فالفكرة واضحة (البحث عن العدل) والبناء الفنى القائم على مبدأ الفكرة هي البطل، وكذا البناء اللغوى القائم على تداخل النص الروائى مع النصوص الدينية، مع الاعتماد على التقنيات اللغوية، والتى منها عتبات النص، كل ذلك أعطى للرواية العمق الفنى والفكرى في آن .

وبالعودة إلى العناوين الجانبية، نجد جبريل يستخرج عناوينه الجانبية من باطن فصول روايته " إذ تبدو عند قراءة الفصول وكأنها عبارات مختارة من الفصول نفسها " [7]: " تحقيق مطول عن بواعث اختفاء المهدى، وبواعث ظهوره ـ فلما اشتدت الأزمة، وعانى الإسلام من الغربة، ظهر المهدى في الفتح ـ ... وحتى لا ينطق الإمام عن الهوى، دعا إلى حكم القانون ـ فأنقذ – سبحانه وتعالى – المسلمين، بحزب الله ـ الثورة عنف . فلماذا لا ندعو إلى الإصلاح ـ وخرج الإمام بالسيف، علامة أكيدة على أنه المنتظر ـ وعلى رصيف مقهى السيالة، اغتيل رجل تؤكد معظم الروايات أنه – بالفعل – هو المهدى المنتظر ـ تسجيلات

على هوامش الأحداث بعد رحيل الإمام "، هذه هي عناويين فصوله، والتى لم تكن فقط معبرة عن مضمون الأحداث، بل اقتطعت منها قطعا .

مع أنها ستة فصول، أو لنقل ستة قصص تبدو مختلفة ظاهريا، إلا أن العناوين الجانبية بترتيبها السابق تجعلها ذات وحدة عضوية بحيث لو تقدم أو تأخر فصل منها لاختل البناء، وكأن تلك العناوين الجانبية قصة منفصلة، فبسبب اختفاء المهدى واشتداد الأزمة ظهر، ولكيلا يجور دعا إلى حكم القانون ولأن يد الله مع الجماعة اجتمع الناس على حزب الله ليقود الأمة في تلك الفترة الحرجة، ولكى نعود بالإمامة إلى صورتها الأولى الطاهرة فلنرفع شعار لا للثورة والعنف ونعم للإصلاح، ولكن هذا الأمر لابد له من قوة تحميه فلنلجأ إلى السيف، ولكن للأسف كل ما سبق كانت محاولات باءت بالفشل فالمهدى الحقيقى الذى لم يطلب السلطة قتل بيننا، وفى الختام تلخيص وتعقيب على ما سبق، وإلقاء نظرة مستقبلية على الأحداث .

ولكن هل لتلك العتبة النصية " العناوين الجانبية " دلالات أخرى، أقول:

الفصل الأول " تحقيق مطول عن بواعث اختفاء المهدى، وبواعث ظهوره " هو بمثابة تحقيق صحفى، تداخل فيه الفن الروائى مع الأسلوب الصحفى في الكتابة إضافة إلى الجمل القصيرة المتتابعة، الفقرات المتوالية، السرد التاريخى، ولكن .... هل كان من الأفضل لو أن

محمد جبريل استغنى عن هذا الفصل التقديمى، وبدأ روايته من الصفحة الثانية والثلاثين؟ أرى أن هذا الفصل لايختلف في الأهمية عن الفصل الذى أضيف للطبعة الثانية " تسجيلات على هوامش الأحداث بعد رحيل الإمام " فكلاهما يمثلان خيط البداية والنهاية، وبنظرة على الأحداث لو أنها بدأت بـ " فلما اشتدت الأزمة، وعانى الإسلام من الغربة، ظهر المهدى في الفتح "، وجبريل يكتب عن عقيدة مخالفة لعقيدته، وفكرة ربما تكون بعيدة بعض الشئ عن أذهان متلقيه، إضافة إلى ضرورة فنية وهى ربط الأجزاء بعضها ببعض، فحرف العطف " الفاء " يفيد طول المدة[8] بين اختفاء المهدى، وظهوره، مع ترتب ظهوره بعد الخفاء على معاناة الإسلام من الغربة، لحدث انفصال بين الماضى والحاضر، لذلك ربطه بباقى الأحداث عن طريق تقنية التقطيع السنيمائى مما أضفت على الرواية بعدا دراميا دلاليا " يمهد للحدث وفكرته قبل الولوج في خضم تطوره " مما جنبها مغبة السرد التاريخى الذى لاتعنيه الرواية من قريب أو من بعيد [9]، فجبريل يقصد من وراء هذا أن هذه الفكرة متواصلة منذ بداية الإسلام وحتى آخر الزمان فهى بمثابة شجرة ممتدة الجذور متشابكة الأغصان والفروع، كل ذلك دعا جبريل لوضع هذا الفصل الذى هو بمثابة تمهيد لاينفصل بأى حال من الأحوال عن باقى فصول الرواية .

أما بقية الفصول " فلما اشتدت الأزمة، وعانى الإسلام من الغربة، ظهر المهدى في الفتح – ... وحتى لا ينطق الإمام عن الهوى، دعا إلى حكم القانون – فأنقذ – سبحانه وتعالى – المسلمين، بحزب الله " فمع دلالتها على مضمون الفصول، يبدو النص الدينى فيها ظاهرا بوضوح، فعنوان الفصل الثانى " وعانى الإسلام من الغربة " يتداخل نصيا مع حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – الذى رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ) [10]، والثالث يتداخل نصيا مع القرآن الكريم قال تعالى " وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى " **[11]**، والرابع أيضا، قال تعالى " فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُون " [12].

- وسيرا على طريقته الخاصة في رواياته التاريخية التي لاتهدف مجرد سرد أحداث تاريخية، بل إسقاط تلك الأحداث على الواقع، تأتى نهايات تلك الروايات مفتوحة الدلالات، لتشير – من وراء حجاب – إلى استمرارية الأحداث ما استمر الناس على حالهم ولم يتغيروا .

انهى جبريل روايته في طبعتها الأولى بحوار يمثل غاية الكاتب من روايته وهى الحكم للشعب: قال سيد الرويعى " الإمام يستمد وجوده من مبايعة الناس له .. قال ياقوت نافع: فماذا لو اختار الناس أن يحكموا أنفسهم .. هل لابد من وصى؟ .. قال الرويعى: الزعامة مطلوبة في كل الأحوال ! .. قال ياقوت نافع: فارق بين الزعامة والوصاية .. الكل يأتى للوصاية .. قال الرويعى: لم توجد بعد ثورة بلا زعيم ! .. قال ياقوت نافع: سيكون كل شئ على ما يرام، حين يسقط النظام على أيدى الجماهير، وليس عن طريق فرد – أو أفراد – أيا كان، أو كانوا ! .. " [13]

فصل أخير يبدأ بـ " وعلى رصيف مقهى السيالة، اغتيل رجل تؤكد معظم الروايات أنه – بالفعل – هو المهدى المنتظر "، فصل هو نهاية سلسلة الإمامة، وهو الإمام الوحيد الذى ذكر اسمه " السيد الحفناوى " وذكرت طريقة موته " كان الإمام جالسا في مقعده، تدلى رأسه على صدره، وسكين حادة مغروسة أوسط قفاه .. " [14]، بعد اغتيال الإمام الأخير، تكشفت الحقائق، واتحد صوت الكاتب مع أصوات شخصياته " سيكون كل شئ على ما يرام، حين يسقط النظام على أيدى الجماهير، وليس عن طريق فرد – أو أفراد – أيا كان، أو كانوا ! " فاتحا بهذا القول نهاية روايته لتصلح لفترات أخرى قد يتوالى فيها أئمة مهديون

أو حكام عدول من الشعب، مما يضفى على تلك النهاية جوا من الغموض المحمل بنسمات الإثارة، كما أبان عن التحول في فكر أبطال روايته وعقائدهم .

****

بينما جاءت نهاية الرواية في طبعتها الثانية ذات طابع سردى يخلو – إلا قليلا – من الحوار، ينهى جبريل روايته كما بدأها بتحقيق صحفى " تسجيلات على هوامش الأحداث بعد رحيل الإمام " .

من أهم ما يلفت انتباهنا خلوه من الحوار – إلا قليلا –، واعتماده على السرد الوصفى لحال الأمة بعد غياب الإمام، ولفت انتباهنا إلى ضرورة البحث عن الخلاص المنشود في شخصية الإمام المنتظر ليعود بالإسلام إلى مكانه ومكانته الأولين، فيقول في نهايتها على لسان جماعات التبليغ " قالوا: دولة الإسلام هي المطمح، فلماذا الهجرة .. والعودة – مرة ثانية – فاتحين؟ لماذا لانوفر الجهد، فتقوم دولة الإسلام في بلد الدعوة، ليخرج منها المسلمون – بعدها – فاتحين؟ ... "[15]، فيجسد من خلال هذه النهاية ما أسسه منذ البداية وهو أنه لاخلاص إلا بالإمام المنتظر، على عكس النهاية في الطبعة الأولى، والتى

أفضت فيها الأحداث إلى تحول في تفكيرالشخصيات وعقائدهم، فالخلاص هناك في أيدى الشعوب، لا الإمام المنتظر، مما يفتح بها أفقا جديدة في علاقة الشعوب بحكامهم .

- الشخصيات:

" المخلص " (الإمام) هو الشخصية الرئيسة في العمل، وما عداه لاتتعدى أدوارهم التعليق على الأحداث، أو محاولة الاعتراض على الأحكام، ويعد أبرز شخصيات الصف الثانى هو " على عبد الحسين " الذى صاحب الإمام الأول، والثانى، والرابع، والخامس، يبدأ مؤيدا، وينتهى به الحال معارضا، باحثا عن العدل (إمام جديد) " هذا زمان . أما نحن، فلسنا سوى قطيع من الماشية يرعاه الإمام ... قال على عبد الحسين: الاستسلام حظ الماشية .. أما الإنسان فيقاوم .. أضاف، وقد شابت صوته رنة انفعال: لماذا لا نقاوم ؟! .. " [16]

أما الشخصية الرئيسة، فقد نوع جبريل طريقة عرضها إلى أربع صور، " صورة الحاكم المستبد، وصورة الإمام العادل، وصورة الصوفى، وصورة الأسطورى "، وكلها تنبع من حياة المسلمين، حتى في وصفه للشخصية في صورتها الشعبية " الأسطورية " نجد ملامحها إسلامية .

- شخصية الحاكم المستبد:

يقتضى الحديث عن الإمامة / السلطة ذكر مثالين من أشهر أمثلة البطش، وكان موفقا حينما تخير رجلين ينتميان إلى من أذاقوا العلويين الويلات، فرجع إلى التاريخ ليرسم بفرشاته ملامح إمامه فتارة يجعله زيادا أو حجاجا ثقفيا، وذلك على صورتين، الأولى تصريحيا بإيراد اسم الحجاج، والاستشهاد بجزء من خطبته الشهيرة حين قدم البصرة يتوعد أهلها، " الحمد لله الذى له الخلق والأمر، مالك الدنيا والآخرة . يؤتى الملك من يشاء . وينزع الملك ممن يشاء . ويعز من يشاء . ويذل من يشاء ... أما بعد ... النذير ... النذير ... النذير ... إنى لأقول مثلما قال الحجاج: من أعياه داؤه فعندى دواؤه، ومن استطال أجله فعلى أن أعجله . من ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله . ومن استطال ماضى عمره قصرت عليه باقيه ... وإنى لأفعل مثلما فعل الحجاج، فلا آمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد، فيخرج من الباب الذى يليه، إلا ضربت عنقه ! .. " [17]، فهذا الإمام " إمام آخر الزمان " ينقلب على شعبه، ويتمثل أقوال الحجاج، وأفعاله مع أهل البصرة: " أيها الناس: من أعياه داؤه، فعندي دواؤه، ومن استطال أجله، فعلي أن أعجله، ومن ثقل عليه رأسه . وضعت عنه ثقله، ومن استطال ماضي عمره، قصرت عليه باقيه، إن للشيطان طيفا، وللسلطان سيفا، فمن سقمت سريرته، صحت عقوبته، ومن وضعه ذنبه رفعه صلبه، ومن

لم تسعه العافية، لم تضق عنه الهلكة، ومن سبقته بادرة فمه، سبق بدنه بسفك دمه . إنى أنذر ثم لا أنظر، وأحذر ثم لاأعذر، وأتوعد ثم لا أعفو، إنما أفسدكم ترنيق ولاتكم، ومن استرخى لببه، ساء أدبه، إن الحزم والعزم سلبانى سوطى، وأبدلانى به سيفى، فقائمه في يدى، ونجاده في عنقى، وذبابه قلادة لمن عصانى، والله لا آمر أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد، فيخرج من الباب الذى لا يليه، إلا ضربت عنقه [18] .

والثانية تضمينيا " أحدث لكل ذنب عقوبة: من أغرق قوما أغرقه، من أحرق قوما أحرقه، من نقب بيتا نقب عنه قلبه، من نبش قبرا دفنه فيه حيا، القاتل يقتل بمثل الطريقة التي قتل بها . أما المخالفون في الدين، فقد فقئت عيونهم، وشويت أجسادهم بالنار، والقوا في العراء .... زاد في الشرطة فتضاعفت أعدادها . منع الدلج بالليل تماما . كل من ضبط مدلجا سفك دمه . زاد المعارضون من نشاطهم، فزادهم من عقابه . بدت الأمور وكأنها حملة إبادة . أخذ بالشبهة وعاقب بالظنة، البرىء بالسقيم، والمطيع بالعاصى، والمقبل بالمدبر . قطع الألسن الشتامة، ولاحق المتمردين، وقضى على كافة الأصوات والآراء، وصادر حقوق النقد والمعارضة والتعبير . وامتلأت بمعارضيه السجون . واهتزت بأجسادهم المشانق، ورويت بدمائهم الأرض، ودفنوا – داخل الجدران والأعمدة – وهم أحياء . " [19] هل هو

إمام أخر الزمان أم زياد ابن أبيه: " حرام علي الطعام والشراب، حتى أُسويها بالأرض هدماً وإحراقاً... إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله، لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف . وإنى أقسم بالله لآخذ الولى بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصى، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول: انج سعد فقد هلك سعيد، أو تستقيم لى قناتكم .... فإياى ودلج الليل، فإنى لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه ... وإياى ودعوة الجاهلية فإنى لاآخذ داعيا بها إلا قطعت لسانه، وقد أحدثتم أحداثا لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة، فمن غرَّق قوماً غرّقناه، ومن أحرق قوماً أحرقناه، ومن نقب بيتاً نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبراً دفناه فيه حياً.فكفوا عنى أيديكم وألسنتكم، أكفف عنكم يدى ولسانى . " [20]

تلك هي صورة الحاكم المستبد، متداخلة ضمنيا ونصيا مع شخصيتى الحجاج، وزياد، وما يحملانه من معانى دلالية على القسوة ليست خاصة بعصرهم، بل يقابلها عصر الإمام وكأنه صورة له " توالت القرارات التي أملاها الوحى . تلاحقت بالمعدل ذاته الذى عبر به الناس عن ضيقهم . طالب الشبان الذين أطالوا شعرهم بتقصيره، والنساء اللائى كشفن رؤوسهن بتغطيتها، من تبين عن جزء من وجهها أو جسدها . فإن القار — بيد جنود

الإمام – سيغطيه فيما بعد . قرر العقوبات الصارمة على المرأة وبعلها أو عائلها، إذا تبرجت وسفرت ولم تحتجب ... "[21] .

- المخلص / الإمام العادل:

ولأنها رواية تبحث عن العدل، كان ولابد من تمثل طريق الحاكم العادل (أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب – رضى الله عنهما –) في القول والعمل: " عس بالليل أحيانا كثيرة لتفقد أحوال الرعية[22] – هذا إذن برنامجى إلى الناس، عهدى عليهم .. فإذا أقروه كان عقدا بينى وبينهم، لا أنحرف عنه، ولا أتأوله أو أخالفه في كثير أو قليل .. فإذا انحرفت عنه، فإن من حق الجميع أن يحاسبونى ... عهدى: ألا أتعدى أحدا، ولا أفرض فريضة ولا حكما، ولا أستحل شيئا حرمه الله، ولا أحكم بين الناس إلا بما أنزل الله .. أن يكون الضعيف عندى قويا حتى آخذ له حقه، والقوى ضعيفا حتى آخذ الحق منه، فأعينونى إن أحسنت، وقومونى إن أسأت، وأبرئكم من السمع والطاعة، إن عصيت الله ورسوله "[23]، فهذا تمثل لقول أبي بكر الصديق " والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن

شاء الله، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم " [24].

- الصوفى:

للتصوف في أدب محمد جبريل مكانة كبيرة، ولا ريب في ذلك فقد نشأ في حجر التصوف " حى بحرى " بمساجده الكبيرة أبو العباس – البوصيرى – ياقوت العرش – على تمراز، ولاشك أيضا أن التصوف يستلزم عبادة روحية ومجاهدة، وصفاء روح، للترقى في درجات الصوفية، ولاكتشاف الإمام المنتظر وتبيان حقيقته لابد من توافر صفاء الروح وعبادة ومجاهدة نفس ليثبت أنه من تلك السلالة الطاهرة، من هنا وصف جبريل بعض أئمته بصفات الصوفيين دليلا على أحقيتهم بالنسب الشريف، وتسنمهم أعلى درجات المسلمين: " قال ويداه متشابكتان على صدره، وعيناه تحدقان في اللاشئ أمامه: – إنى – والحمد لله – بقية من آدم، وذخيرة من نوح، وصفوة من محمد، صلى الله عليه أجمعين [25] – دخل وخرج من الأبواب العشرة . الخطوات هادئة . والعينان تمسحان الأرض، فلا ترتفعان إلا لتبين الطريق، والشفتان لا تكفان عن البسملة والحوقلة والدعاء، والشعور بالله

– وحده – يغمر القلب ! [26] – يبتعد عن التلفظ بالخبيث من القول، يمتنع عن التأنق، يطيل الصلوات والذكر والدعاء والتسبيح، يحفو الشارب، يترك اللحية .. فهو إذن أصلح الأصدقاء كى يطيل من شرفات الجنة [27] – تناقضت الروايات، ولكنها تلاقت في التأكيد على أن المهدى الحقيقى، إمام آخر الزمان، هو ذلك الذى أحب الناس مبادئه وتعاليمه، وإن غابت عنهم صورته، الذى يعلم الكثير الكثير من عالم الغيب: الملائكة والجان والعرش والكرسى واللوح والقلم وأشراط الساعة وما لم يصل إليه علم البشر، المعصوم الذى أودع علم النبوة، ففسر القرآن بهذه الوديعة النبوية التي أودعها الله النبى، وأودعها النبى عليا، وأودعها على الأئمة الباهرين من بعده ... ووقف نفسه الشريفة على العبادة، وجعلها على الطاعة، واشتغل بأوراده وتهدجه وصلاته وتعبده، فهجر – زمنا – حياة الناس ولاذ بكهوف الصحراء، في انصراف إلى الصلاة والتأمل والعيش على اللبن والتمر، وما ترزقه به السماء [28] " .

كما زاوج بين الحوار والسرد المتضمنين للغة الصوفية في بنية نصه الروائى: " قال على عبد الحسين، نديمه وصفيه: لهذا اخترناك ! .. هل ترانى أحيط بعلمى كل ما يرجع إلى ؟!.. إذا لم يكن العلم لآل البيت .. فلمن يكون إذن ؟! ...... أعطت كلماته تأثيرا عكسيا:

فالمهدى – تشير الروايات – يرتفع عن النقائص والأخطاء، يعرف جميع مبادئ الشريعة وأصولها وفروعها، أيامه ثلاث خصال: إما مصليا، أو صائما، أو يقرأ القرآن، ولا يتحدث عن الرسول الكريم إلا عن طهارة، ولا يتكلم إلا فيما يعنيه، ويخشى الله . الأسرار الإلهية تتبدى في الخوارق التي يصنعها، وفى العشرات من الغرائب والمعجزات ومقامه يتصل بمقام النسب الشريف إلى بيت الرسول الأعظم، وولايته هي الأمل المرتجى الذى يهب الخلاص ... قال الصفى والنديم ... قال الصفى والنديم ... "[29]، وظف بعض المفردات الصوفية داخل بنية روايته " الصفى – النديم – خصاله – الأسرار الإلهية " كل هذه الصفات ليس – فقط – لتقربه من الحكم، ولا لتثبت اتصاله بالنسب الشريف، ولكن لتحدث تأثيرها غير المباشر على الناس، بحيث تتكرر جملة " لهذا اخترناك ! " ثلاث مرات متتابعة، عقب إبراز زهده في الولاية " المنصب خطير، والمسئولية عظيمة، والمجد ما أجمله في الدنيا، لكن التبعة ثقيلة في الآخرة " مما قربه أكثر من إجماع الأمة عليه .

- البطل الأسطورى:

صور محمد جبريل شخصية " إمام آخر الزمان " في ضوء شخصية بطل السيرة الشعبية، التي " تمر بمراحل متعدد هى، النبوءة – الأصول النبيلة – الانتساب – الغربة – الاختيار

– الاعتراف بالبطل – التكليف الأولى – المعارضة الضعيفة – التكليف القومى – التكليف الدينى – المعارضة العامة – الخوارق والسحر – الانتصار – العزلة والموت – التوريث "[30]، تتقاطع – كما قلنا – شخصية الإمام وشخصية بطل السيرة الشعبية في جوانب عديدة، فهو مركز اهتمام السرد – على اختلاف توجهاته – يستحضر على أنه رمز البطل " المخلص " الذى سيعيد للأرض بهاءها، فيحكم بالعدل، ويقف بجانب الشعب المضطهد، ويستخدم سلطاته في سبيل العدل والحق كأبطال السير العربية، وقد وقع التشابه بين " إمام آخر الزمان "، وبطل السيرة الشعبية في ثلاث مواطن: الميلاد، الحياة، الوفاة، مع استلهام مفردات اللغة الصوفية .

- مرحلة الميلاد: هيأ جبريل للإمام ظروفا غير طبعية لولادتهم، فجاء ميلاده معجزا، " رويت عن طفولته خرائق وأعاجيب: على حين يحمل بكل مولود تسعة أشهر، فقد حمل به ثلاث سنين، وهطلت الساء – صيفا – ليلة مولده، وغمر الكون نور إلهى، وهربت الأرواح الشريرة والجان إلى العالم السفلى، وانتشر الضياء في كل مكان، وتفتحت براعم الزهور وكمام الثمار، وعبقت الطبيعة بالروائح الطيبة، واستعاد الأعمى البصر، واسترد الأصم السمع، وراح الأبكم ينطق ويغنى . ونطقت بالاسم الكريم أوراق الشجر والأجنة في بطون أمهاتها، ولم ييك حين

ولادته مثل سائر الأطفال، إنما نطقت من الفم الرقيق ضحكات عذبة، وتكلم بغوامض الأسرار وعلوم الحقيقة وهو ابن سبع سنين ."[31]، " أما ليلة الميلاد فقد شهدت خرائق وأعاجيب: نطق الحيوان والجماد وأوراق الشجر، زلزلت عروش الأكاسرة والقياصرة، وداهم الأوغاد والسفلة قلق عميق، واحتجبت الجان والشياطين في أوكارها تخشى الضياء، واتصلت عرائس الملائكة في ليال كأنها السحر . فور ولادته، جال بعينيه الساجيتين في الملتفين حوله. ثم أحنى الرأس – كالساجد – وقال كلمات أكد بعض الرواة أنها كانت تمتمات شكر للعلى القدير . وتعالى صوت البشير: الإمام ولد لخلاص البشرية، فطوبى للصابرين ! .. " [32] .

جمع له جبريل ليس فقط سمات بطل السيرة الشعبية، بل جال في أعماق التراث الدينى فذكر له ما صاحب ولادة النبى – صلى الله عليه وسلم – " زلزلت عروش الأكاسرة والقياصرة "، ونبى الله عيسى – عليه السلام – " وقال كلمات أكد بعض الرواة أنها كانت تمتمات شكر للعلى القدير "، ليس فقط ليؤكد أنه هو الإمام المنتظر، بل ليضفى عليه هالة

من النور الإلهى، مفادها العناية الإلهية اختارته لكم، وأجرت مع لحظات ميلاده خوارق لم تعهد من قبل إلا لنبى، فارتضوه لدينكم ودنياكم .

- حياته: وتتواصل حلقات الخوارق فينمو جسده وعقله نموا غير طبعى " تحيط بحياته – منذ الميلاد – هالات من المجد ترقى إلى التقديس "[33]، " تواترت الروايات عن أصله وفصله وحياته، في الريف نشأ، حياة الطبيعة أكسبت جسده فتوة وقوة "[34]، " نفسيته الهادئة لاذت به إلى الخلاء، يتوسد الحجر، ويلبس الخشن، ويأكل الخشب ،إدامه الجوع، وسراجه – بالليل – القمر، ودابته رجلاه، وخادمه يداه "[35]، وكنتيجة لتلك النشأة القوية جسديا وروحيا، نسبت إليه معجزات ورويت عن أفعاله كرامات " جالس – منذ نشأته – العلماء وحفظ القرآن، وتعبد في المساجد والخلوات .... نسبت إليه معجزات وخوارق: إبراء الأكمه والأبرص، المشى على الماء، الصعود في الهواء، إخضاع الوحوش، أكل الناس والثعابين . أتى أقرب الأتباع بأوسط أبنائه الذى عاجله الموت، توسل بشفاعته، أن تعود إلى الصبى الحياة، تلا آيات قرآنية ودعوات، فتحرك الميت في

مرقده " [36] " ... رويت في كرماته، أفاعيل خارقة: مكتوب على فخذه بقلم الذات الإلهية: هذا هو الإمام المنتظر، وأنه يستدعى الموتى من العلماء والأولياء ليناقش في أمور الدين، وأنه ينحى الملكين عن الميت الذى صلحت أعمال دنياه، ولا يتركهما يحاسبانه على أهماله / وأنه ألقى – ذات يوم – كتابا في الماء، فلم يبتل " [37] .

- الوفاة: هيئة الإنسان عند الموت صورة لحياته، فالإمام ولد وعاش حياته خارقا للعادة، إذا فوفاته لابد وأن تختلف عن وفاة من سواه، فبكته السماوات ومن فيهن من ملائكة، وفتحت أبواب السماء، وأغلقت أبواب الجحيم، " أغلق القبر، فبكت الملائكة، وبقاع الأرض التي كان الإمام يعبد الله فيها، وأبواب السماء التي كان يصعد فيها بأعماله "[38] .

- اللغة: قامت الرواية على فكرة دينية خالصة ذات أبعاد سياسية، تتصل بوجه أو بآخر بواقعنا، ولتؤدى الدور المنوط بها تداخلت اللغة مع الفكرة، حتى لكأنك تقرأ

عملا سياسيا لحزب دينى، فوظفت الرواية النصوص الدينية بمختلف أشكاله من قرآن الكريم، وحديث الشريف، وفكر دينى ولغة صوفية داخل النص الروائى .

- توظيف النص الدينى: تشكل – كما قلنا – الفكرة الدينية الأساس الذى انبنت عليه الرواية، فبالإضافة إلى استدعاء الشخصيات الدينية / التاريخية (عمر بن الخطاب – على بن أبى طالب – زياد بن أبيه – الحجاج) ثمة حضور قوى للنص الدينى عن طريق تداخل النصوص، فيطبعان الرواية بأسلوب وروح النصوص الدينية .

توظيف أسلوب النص القرآنى، تأسس لغة الشخصيات، ولاسيما لغة الأئمة على لغة القرآن الكريم، وذلك لطبيعة الشخصيات الدينية، وهى من أحفاد الرسول – صلى الله عليه وسلم –، اتخاذ أسلوب القرآن الكريم وسيلة للتأثير على العامة، من جهة، ومن جهة أخرى إضفاء الشرعية على حكمهم، وأحكامهم، " أشار فيصل الشيراوى إلى على عبد الحسين . واتجه بنظراته إلى عبد الرازق سالم: – آدم عمره ألف سنة .. نوح ظل يدعو قومه إلى الله 950 عاما والله يعلم، كم عاش قبل الدعوة وبعد الطوفان ... سلمان الفارسى طالت حياته في الأرض حتى قيل أنه عاصر المسيح وأدرك الإسلام وتوفى في أيام عمر بن الخطاب .. يونس النبى ظل في بطن الحوت مدة طويلة من الزمن، ولولا أنه كان من

المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون .. أهل الكهف لبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا، فكم عاشوا قبل دخولهم الكهف، وبعد خروجهم منه .. الخضر يحيا من قبل زمان النبي موسى إلى آخر الزمان ... وإذا كانت أم موسى بن عمران قد سترت ابنها وكتمته حتى لايناله أذى فرعون، فكذا كان ستر الإمام واختفاؤه، حتى لا تناله السلطة الحاكمة ! ... "[39]، يتداخل هذا النص مع نصوص عديدة من القرآن الكريم يتخذها المحاور تعليلا على اختفاء الإمام، واتخاذ ما حدث لأنبياء الله وأصحاب الكهف مثالا يحتذى به، فكما كان اختفاء أهل الكهف، وستر موسى، وابتلاء يونس ،....إلا وكان سببا في انتشار دعواتهم، كذا ستر الإمام واختفاؤه سيكونان سببا في نصره، ثم يمتاح الراوى من النص القرآنى صفات المؤمنين ويسقطها على أتباع الإمام " تكاثر الأتباع . بلغوا المئات فالألوف، فعشرات الألوف، التائبون، العابدون، الحامدون، السائحون، الراكعون، الساجدون، الآمرون بالمعروف، الناهون عن المنكر، الحافظون لحدود الله ... "[40]، وعندما تأتى المعارضة مستشهدة بحديث للنبى – صلى الله عليه وسلم – لزم الرد عليها بحسم، فيأتى النص الروائى متداخلا مع جزء من آية كريمة ناهيا عن التدخل في شئون الآخرين، ووجوب التفرغ فقط للطاعة " تعالى صوت من صف خلفى: قال الرسول: من أصبح ولم

يهتم بأمور المسلمين، فليس بمسلم !.. التمع الغضب في عينيه: أتعلمنى وأنا الإمام؟ .. عليكم أنفسكم . لايضركم من ضل إذا اهتديتم إن كل ما يجب أن تحرص عليه . هو أن تصلى وتواظب على صلاة الجمعة وتتردد على الحج في كل سنة .... "[41]، وحينما تبدأ الأحكام في التوالى، لابد من إسنادها للقرآن الكريم لتتلقى بالقبول من عامة الناس " هذه الضرائح لم تكن من أصل الدين في شئ . انتقل الرسول إلى جوار ربه، ولم يقم له ضريح . كذلك كان الخلفاء من بعده . إنها بدع تالية !.. وقال: إن المساجد لله، فلا ندعوا مع الله أحدا، ومن عبد الله ليلا ونهارا، ثم دعا نبيا أو وليا عند قبره . فقد اتخذ إلهين اثنين . وصار مشركا!.." [42]، وعندما تتضح الحقيقة ويتكشف زيف الواقع، وتتعب النفوس من ملاحقة إمام جائر يخلفه أسوأ منه، يأتى النص الروائى متداخلا مع القرآن الكريم ليستبطن الحقيقة " وقال: إن الله يدافع عن الذين آمنوا .. فإذا كنا مؤمنين .. فلماذا ينتصر غيرنا ونحن نرتع في الخيبة؟ .. لماذا لايدافع الله عنا؟ .. لماذا لا تمطر السماء على أعدائنا – أعدائه – حجارة من سجيل؟ ... " [43]، فبدأها بالتساؤل تعقيبا على الآية الكريمة، ثم في النهاية سوى بين أعدائه، وأعداء الله، من هنا حققت الرواية التحاما قويا بين نصها الروائى، ونصوص القرآن الكريم المتداخلة معها أنتج نصا جديدا .

كما أحدث جبريل توازيا بين بنية الرواية، وبنية النصوص الدينية، فانتشار الفساد في الأرض قبل ظهور المهدى المنتظر، يقابله روائيا انتشار المظالم في الزمن الروائى " اقترب اليوم الموعود: إشراقة الفجر، وسطوع النور، وحلول البركة الربانية – بتلاحق الأوامر والنواهى والممنوعات، فللحياة خارج البيوت – ليلا – عقاب ... عقاب .. عقاب .... عقاب ... "[44]، وظهور المهدى المنتظر وإشاعة العدل ونفى الظلم، يقابله ظهور إمام، يتبعه إمام، ولكن الرواية تتخذ منحى آخر عكس مجريات الأحداث في النص التراثى، فظهور الأئمة لا ينتهى بإشاعة العدل، بل يشيعون الظلم بين العباد .

توظيف القصة القرآنية في النص الروائى، فيستحضر قصة نبى الله موسى – عليه السلام – مع الخضر، حيث تبدأ القصة عندما يسأل واحد من بنى اسرائيل سيدنا موسى – عليه السلام–، هل في الأرض من هو أعلم منك؟ فيرد عليه: لا، فأوحى الله إليه أنه يوجد في الأرض من هو أعلم منك، ويحدث اللقاء بينه وبين الخضر – عليه السلام – كما أخبرنا القرآن الكريم بذلك، قال تعالى " فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً "[45]، فأسقط جبريل مدلول هذه الآية على إمامه الخامس حيث أحدث تداخلا نصيا بين القصة القرآنية

وبين نصه الروائى عن طريق الإشارة إلى تعليم الخضر – عليه السلام — للإمام: " نشرت الصحف قصة الحدث المثير كاملة، خصصت لها الإذاعات معظم ساعات إرسالها، واستضاف التليفزيون علماء الدين وأساتذة الجامعات، ليناقشوا الحدث المثير، ويحيطوا بأبعاده . أصبح ما حدث محور نقاش الناس في مجالسهم . اختفت مناقشات كرة القدم والعلاقات الجنسية والظروف الصعبة، حلت — بدلا — منه مناقشات لا تنتهى فيما حدث، وما يبين عنه من دلالات . ملخص الحدث — كما أذاعه ديوان الإمام — أن الخضر عليه السلام يأتى إلى الإمام — كل صباح — منذ خمسة أيام، فيجلس بين يديه، لينهل من معارف علومه، ويستزيد من أحكام الشريعة، ويتبين غوامضها، حتى تكتمل استفادته بما تلقاه على أيدى من سبقوه من الأنبياء والأولياء "[46]، فهذه القصة القرآنية وردت في سياق طلب العلم والمثابرة عليه، وبيان حكمة الله، ...، وهذا الحدث " المثير " ورد في السرد الروائى عن طريق ضمير الغيبة ليكون آكد في نفوس متلقيه، فالخضر يأتى الإمام منذ خمسة أيام، وبالضرورة قد ظهرت علامات لهذا التعلم على يدى الخضر، فحكى وتداول الناس ما حدث، فهو أقرب إلى الحقيقة، ولو ورد بضمير المتكلم لتقبله الناس بالشك في محتواه، وكما كان موسى متعلما على يدى الخضر، فعل الإمام، ولكنه

صبر وقوى على ما لم يصبر ويقو عليه موسى – عليه السلام –، وهذا يصب في جانب أحقيته بالإمامة .

- المجال التناصى: " هو الفضاء النصى، أو الحيز المتوهم الذى تتحاور وتتصارع داخله النصوص الماثلة خلف تكون هذا النص وتشكله، وفى غالب الأحيان، لا تأتى هذه النصوص المولدة والمكونة للنص الجديد منفردة، بل غالبا ما تكون على صورة تكتلات، أو دوائر نصية، يسعى كل منها قدر استطاعته إلى فرض سطوته وهيمنته على النص الجديد قيد التشكيل، حتى تجعله تابعا لها يدور في فلكها النصى . "[47]، وبالبحث في رواية " إمام آخر الزمان " نجد أن هناك عدة تكتلات نصية تحاول من آن لآخر فرض سطوتها على بنية الرواية، فهناك دائرة النصوص الدينية، ودائرة النصوص السوسيولوجية المتجهة إلى نقد المجتمع وواقعه السياسى، فهذان التكتلان النصيان يحاولان جذب النص الروائى إلى فلكهما، صابغين إياه بصبغتيهما، ولكن نص " إمام آخر الزمان " حاول الإفلات من تلك الهيمنة النصية، وفرض وجوده كنص روائى تخييلى إمتاح من النصوص الدينية أساليبها، وبعض أحداثها، وأسقط البعض الآخر على الواقع، كل هذا مضفرا في بنية روائية ذات أسلوب فنى بعيد عن لغة الوعظ، أو النقد المباشر. " لأن المغرضين

علت أصواتهم، وحاولوا الإساءة إلى العهد الزاهر النبيل، وتعمدوا التشويه والإفساد والنيل من القيم الباهرة، قرر الإمام أن يطرح كل القوانين التي صدرت، وتلك التي يعد لإصدارها، في استفتاء عام، ليعلن الشعب قوله الحق فيما يوافق عليه، وفيما لايوافق . امتدت محاولات الإساءة إلى عملية الاستفتاء ذاتها، وزع الآلاف من المنشورات التي تطلب بمقاطعة الاستفتاء ... ومع ذلك، أجرى الاستفتاء في موعده، جاوزت أعداد المؤيدين الأغلبية، وقاربت الإجماع . أعلن النتيجة بنفسه في بيان نقله التلفزيون والإذاعة . حيا المؤيدين، حيا المعارضين كذلك، قال: أدعوكم إلى كتاب الله ليحكم بينى وبينكم في الذى اختلفنا فيه، ونحرم ما حرم الله، ونقسم بما قسم الله، ونحكم بما حكم الله، ونطيع ما أحل لنا طاعته في كتابه، ونعصى من أمر الله بمعصيته ... فهذا الذى أدركنا عليه نبينا عليه أفضل الصلوات وأذكى التسليمات . "[48]، ففى هذا النص ملمح عصرى عن طريق استخدام آلية الاستفتاءات لتمرير القوانين، كما فيه استخدام للنصوص الدينية المتمثلة في أمرين، الأول: تداخل النص الروائى مع النص القرآنى (التحاكم إلى كتاب الله) في قوله تعالى " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن

تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ " [49]، الثانى: استلهام واقعة التحكيم بين جيشى معاوية بن أبى سفيان – رضى الله عنه –، وعلى بن أبى طالب، كرم الله وجهه.

- تحفل رواية جبريل بالحوار الذى من خلاله يحقق للرواية فنيتها ودلالتها، فعن طريقه نتبين طرق الأئمة على اختلاف توجهاتهم السياسية في الحكم، وطرق الشعب في التعبير عن رضاهم أو سخطهم، من هنا يتفرع الحوار في " إمام آخر الزمان " إلى: حوار بين الأئمة، والأصفياء (نواب الشعب)، وحوار بين الأصفياء، وغيرهم من عامة الشعب، ولكل طريقته، ولغته .

الحوار بين الإمام، وأصفيائه: يمتاز هذا الحوار بشيوع اللغة الدينية في محتواه، كما تكثر الجمل الاعتراضية المقوية أو المؤكدة للمعنى، " أسلم النفس إلى صمت متأمل، ثم أضاف: – هل يؤمن الناس – مثلكم – أيها الأحباء – بخروجى؟ .. قال على عبد الحسين، أقرب الأتباع إلى مجلسه: من أنكر خروج المهدى فقد كفر بما أنزل على محمد ! .. قال ويداه متشابكتان على صدره، وعيناه تحدقان في اللاشئ أمامه: إنى – والحمد لله – بقية من آدم، وذخيرة من نوح، وصفوة من محمد، صلى الله عليهم أجمعين . ألا ومن حاجنى في كتاب الله، فأنا أولى الناس بكتاب الله، ألا ومن حاجنى في سنة رسول الله، فأنا أولى الناس

بسنة رسول الله ... فالله الله فينا، لا تخذلونا وانصرونا ينصركم الله ! .... في خفوت فرضه التأدب، تناهى صوت من بين الرؤوس المتلاصقة: نحن لانريد سوى العدل، ورفع الظلم، وإقامة الشرع ! ... قال الدين الذى حل مشكلات الإنسان في العهود الزاهرة الأولى .. هو الدين الذى يحل مشكلات الإنسان اليوم .. الإسلام ولا سواه !..... قال: نحن الدعاة لدين الحق وحماة الدين وخلفاء الله على الأرض . غايتنا هي رد الأرض — كل الأرض — إلى ربها الحق وحكمها بما أنزل " وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم، فقاتلوا أئمة الكفر، إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون " قال الصوت الهامس: تأمرنا بالقتال؟ .. قال: الزموا سمتى، واتبعوا أثرى، فلن أخرجكم من هدى .. "[50]، سمات اللغة الدينية مستخدمة في هذا الحوار من تمثل هيئة المتصوفة " قال ويداه متشابكتان على صدره، وعيناه تحدقان في اللاشئ أمامه "، إلى استلهام النص القرآنى " وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ "[51]، إلى استرجاع لزمن الإسلام الأول، إلى تمثل مفردات الدين " أسماء الأنبياء – نحن الدعاة لدين الحق وحماة الدين وخلفاء الله على الأرض – ألا ومن حاجنى في كتاب الله، فأنا أولى الناس بكتاب الله، ألا ومن حاجنى في سنة رسول الله، فأنا أولى الناس بسنة رسول الله ...

"، ولا يختلف هذا المبدأ الحوارى عن حوار إمام آخر سوى بإدخال عنصر السياسة في الموضوع " ليست المشكلة في رفع الدين شعارا لحياتنا .. المهم أن نضع إطارا من قيم الدين وأحكامه، فيتساوى أمامها الجميع .. نعم يجب أن يخضع الكل لسيادة القانون، حتى جدى العظيم تساوى – مع غيره – أمام القانون ... لكل مواطن حريته المطلقة في حدود القانون ... إذن، فالمطلوب أن تكون الأمة مصدرا للسلطات؟ .. بشرط أن تكون الممارسات محكومة بإطار الشريعة وتعاليمها .." [52] .

النوع الثانى من الحوار، حوار يدور بين الأصفياء وبعض من عامة الشعب، وهو حوار يحمل في طياته لغة التمرد، والاعتراض على الأحكام الجائرة، وصولا إلى أن من يحكمهم ليس إمام آخر الزمان، " قال صالح الغزالى: الناس تريد الخبز الآن ... بدلا من رخصة الحصول على السعادة في السماء ! هز فيصل الشيراوى رأسه . موافقا: المثالية لاتصنع مجتمعا ! ... قال على عبد الحسين: ها أنت تعترف بأن الرجل ينشد المثالية ؟! ...... إنه رجل مثالى حقيقى .. فلماذا يتصور أن كل الناس مثله؟ .... قال الغزالى: مصيبة أن يصبح الدين مصدر تخويف ! .... لقد أنزل الرجل بالدين أضرارا تفوق ما أنزله به إمامنا السابق، وكل الأئمة السابقين !.. [53] إنه جعل المسجد طريقه إلى السلطة ! .. [54] ... تناقل الناس

أخبار الظلم والظالمين . لم يتبق بلد إلا فشا فيه هذا الخبر . ظهر الدعاة، ورئيت المنامات، وتدورست كتب الملاحم ... قال على عبد الحسين لعبد الرازق سالم، وهما يغادران – بعد صلاة العشاء – مسجد الأنصار: زمان .. هز المسلمون سيوفهم في وجه أبي أبكر، جوابا على سؤال اختبارى حول رأيهم في الإنحراف .. قال عبد الرازق سالم: هذا زمان . أما نحن، فلسنا سوى قطيع من الماشية يرعاه الإمام .. قال على عبد الحسين: الاستسلام حظ الماشية .. أما الإنسان فيقاوم .. أضاف، وقد شابت صوته رنة انفعال: لماذا لانقاوم ؟!.. "[55] لغة ثورية، متمردة على الأوضاع السيئة التي تمر بها البلاد، ولاحتدام الموقف خلت من الجمل الاعتراضية على العكس من سابقتها، إضافة إلى كونها لغة متدرجة تبدأ بالاعتراض، ثم التحريض، ثم الثورة، كما أنه – وهى رواية تتمثل اللغة الدينية – اشتمل على بعض من مفردات الدين " المسجد – الإمام – أبو بكر " .

مما سبق يتبين غرض جبريل من توظيف لغة الحوار بشقيه السابقين هو حمل المتلقى على الوعى بما يدور في كلا المعسكرين، وقد تبينت الهوة الكبيرة بينهما .

المصادر

1 – محمد جبريل . إمام آخر الزمان . الطبعة الثانية . 1988 . دار الوفاء لدنيا الطباعة بالأسكندرية .

وكانت الطبعة الأولى عام 1984 بمكتبة مصر .

2 – د سمية الشوابكة . التراث والبناء الفنى في أعمال محمد جبريل .(1972 – 2002) . الهيئة العامة لقصور الثقافة . الطبعة الأولى 2005 . شركة الأمل للطباعة والنشر 317 .

3 – ولسنا هنا في معرض إثبات صحة أو كذب هذه الأحاديث، فلها مجالات أخرى، وللكاتب أن يتداخل نصيا مع أى نصوص .

4 – د . عبد الحميد إبراهيم . الأعمال الكاملة . الوسطية العربية مذهب وتطبيق . الكتاب الرابع نحو رواية عربية . دار المعارف . الطبعة الأولى 1416 هـ، 1995 . صـ 416 .

5 – المصدر السابق . صـ 416 .

6 – ورد هذا الحديث عند ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني . أصول الكافى .كتاب الحجة . باب فيمن دان الله عز وجل بغير إمام من الله جل جلاله . صـ 282 . دار المرتضى – بيروت – ط 1 – 2005 م .

وعنه، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستانى، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: لأعذبن كل رعية في الإسلام دانت بولاية كل إمام جائر ليس من الله / وإن كانت الرعية في

أعمالها برة تقية، ولأعفون عن كل رعية في الإسلام دانت بولاية كل إمام عادل من الله وإن كانت الرعية في أنفسها ظالمة مسيئة .

7 – د. سمية الشوابكة . التراث والبناء الفنى في أعمال محمد جبريل . 318 .

8 – المراد بطول المدة هنا، التعقيب، فمما تفيده الفاء " التعقيب .. ألا ترى أنه يقال " تزوج فلان فولد له " إذا لم يكن بينهما إلا مدة الحمل .. " مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام المصرى ج1 ت محمد محى الدين عبد الحميد صـ 161

9– اقصد بالسرد التاريخى هنا الاستطراد بذكر الحوادث وتفصيلاتها، أما ما ذكرته آنفا "، تداخل فيه الفن الروائى مع الأسلوب الصحفى في الكتابة إضافة إلى الجمل القصيرة المتتابعة، الفقرات المتوالية، السرد التاريخى" فهو ما يستخدمه الصحفى من ملامح تاريخية عامة للتدليل على صحة قوله، وليس سرد الأحداث .

10 – أ.د / موسى شاهين لاشين . فتح المنعم بشرح صحيح مسلم . دار الشروق . 2002 . ط 1 . ج 1 . صـ 466 . كتاب الإيمان . باب 85 بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا . رقم الحديث 248، حدثنا محمد بن عباد بن أبى عمر جميعا عن مروان الفزارى قال ابن عباد حدثنا مروان عن يزيد يعنى ابن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة .

11 – سورة النجم . الآية الثالثة .

12 – سورة المائدة . الآية السادسة والخمسون .

13 – محمد جبريل . إمام آخر الزمان . الطبعة الأولى . 1984 . مكتبة مصر . 206 .

14 – المرجع السابق . 200 .

15 – محمد جبريل . إمام آخر الزمان . الطبعة الثانية . 1988 . دار الوفاء لدنيا الطباعة بالأسكندرية .

16 – محمد جبريل . إمام آخر الزمان . 63 .

17 – المرجع السابق . 62 .

18 – جمهرة خطب العرب في عصور العرب الزاهرة . أحمد زكى صفوت . ج 2 . 278 .

19 – محمد جبريل . إمام آخر الزمان . 61 – 62 .

20 – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . البيان والتبيين . تحقيق . عبد السلام هارون . مكتبة الخانجى . مطبعة المدنى . ط 7، 1998 ج 2 . ص 61، 62، 63، 64 .

21 – محمد جبريل . إمام آخر الزمان . 55 .

22 – السابق . 61 .

23 – السابق . 80 .

24 – الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير . البداية والنهاية . حققه وأخرج أحاديثه وعلق عليه د/ رياض عبد الحميد مراد – محمد حسان عبيد . راجعه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط – د/ بشار عواد معروف . دار ابن كثير . دمشق – بيروت . ج 7 . ص 6

25 – محمد جبريل . إمام آخر الزمان . 36 .

26 – السابق . 66 .

27 – السابق . 109 .

28 – السابق . 162 – 163 .

29 – السابق . 77 . 78 .

30 – د . عبد الله إبراهيم . السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائى العربى . 1992

. المركز الثقافى العربى . بيروت . ط 1 . 161 .

31 – محمد جبريل . إمام آخر الزمان . 70 – 71 .

32 – محمد جبريل . إمام آخر الزمان. 175 .

33 – السابق . 119 .

34 – السابق. 163 .

35 – السابق . 163

36 – السابق. 71 .

37 – السابق . 163 – 164 .

38 – محمد جبريل . إمام آخر الزمان . 201 .

39 – محمد جبريل . إمام آخر الزمان . 43 .

40 – السابق . 111 .

41 – السابق . 150 .

42 – السابق . 171 .

43 – السابق . 197 .

44 – محمد جبريل . إمام آخر الزمان . 40 .

45 – سورة الكهف . الآيتان 65 – 66 .

46 – محمد جبريل . إمام آخر الزمان . 173 – 174 .

47 – حسن محمد حماد . تداخل النصوص في الرواية العربية . الهيئة المصرية العامة للكتاب . 1997 . 66 .

48 – محمد جبريل . إمام آخر الزمان . 97 – 98 .

49 – سورة آل عمران 64

50 – محمد جبريل . إمام آخر الزمان . 36 – 37 .

51 – سورة التوبة . الآية 12 .

52 – محمد جبريل . إمام آخر الزمان . 72 – 73 .

53 – السابق . 56 – 66 .

54 – السابق . 58 .

55 – محمد جبريل . إمام آخر الزمان . 62 – 63 .